تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٥ —

قرأت ما كتبته الآنسة الفاضلة « أمينة شاكر فهمى » وظننته ردا على ، وهو فى الحقيقة تأييد لى . وسأثبت لها ذلك بعد أن آخذ عليها هـذا الاستفزاز الذى يحرك النفوس الجاهلة إلى الثورة على كل جـديد ولو كان نافعا ، ويجعلها تقف فى سبيل الاصلاح ولو كان حقا

تقول الآنسة الفاضلة : « لقد تتبعت بشغف واهتمام مقالات الأستاذ الفاضل « أزهرى » عن تيسير قواعد الاعراب إلى أن تم بحثه فى عملية التيسير والتغيير ، فدهشت جداً لما جاء فى مقاله الأخير من تطبيق ، وما كنت أظن أن موجة التبديل والتحوير تطغو يوما على اللغة وتمسخها بهذا الشكل الذى ينكره كل مخلص للعربية . نعم إننا نعيش في عصر السرعة التى وفدت إلينا من أمريكا ، ولـكن غريب أن تطغى السرعة على قواعد اللغة والاعراب فتختصره بهذه الصورة المدهشة التى يقدمها الأستاذ « أزهري » فى بحثه الأخير ، فقد اختصر وحـذف منه حتى كدت لا أتعرفه ، وخيل إلى أننى أقرأ لغة أجنبية . وغريب أن يتأثر الأزهريون بحياة السرعة الأجنبية فيستعملوها حتى فى اللغة وهم حماتها من كل اعتداء ! »

فـا هذا الاستفزاز من آنستنا الفاضلة وهى لم تنقض حرفا واحدا مما قلت ؟ بل إنهـا تشهد بأنى جئت بدراسات فى تيسير قواعـد الاعراب تكاد تكون قيمة لو لم أناقض نفسى بنفسى وأزد فى تعقيد الاعراب ، وكان من السهل عليها لو تأملت قليلا أن تدرك أنه لا تناقض فيما جئت به من ذلك ولا تعقيد

وستجد الآنسة الفاضلة فى عدد الرسالة الذي تنشر فيه مقالها ردا قيما للأستاذ الجليل « ساطع الحصرى » على خلطها بين اللغة العربيـة وقواعد إعرابها ، وظنها أن فى الاعتداء على قواعد الاعراب اعتداء على اللغة نفسها ، فاللغة العربية شيء وقواعد اللغة العربية (الاعراب) شيء آخر ، لأن اللغة بوجه عام تتكون تحت تأثير الحياة الاجتماعية .

أما قواعد اللغة فتتولد من البحوث التى يقوم بها العلماء ، وتتبدل بتبدل النظريات التى يضعونها ، فهى من الأمور الاجتهادية التى يجب أن تبقى خاضعة لحكم العقل والمنطق على الدوام ، ولا يجوز لنا أن نتقبلها بدون مناقشة وتفكير ، بل يجب علينا أن نعيد النظر فيها ، ونطيل التفكير حولها ، لنكشف فيها مواطن الخطأ والصواب ، ونسعى فى إصلاحها وفقاً للطرق المنطقية المتبعة فى البحوث العلمية بوجه عام

ومن الواجب على الأزهر أن تكون هذه مهمته فى هـذا العصر ، وان يتأثر بهذه السرعة التى تقول الآنسة الفاضلة إنهـا وفدت الينا من أمريكا مع أنها من أصول ديننا ، ومن السنن الصالحة التى سنها أسلافنا ، وقد رأت الشفاء بنت عبد الله رضى الله عنها فتيانا يقصدون فى المشى ، ويتـكلمون رويدا ، فقالت : ماهذا ؟ قالوا : نساك . فقالت : كان والله عمر إذا تـكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو والله ناسك حقا

وما فعلت بما جئت به من مذاهب جديدة في الاعراب إلا أنى قضيت بها على مافيه من حشو لاداعى اليه ، وهذا كما فى مسألة الاعراب والبناء ، فان تقسيم الـكلام إلى معرب ومبنى حشو فى النحو لايدعو إليه إلا ماذهبوا إليه فى الاعراب من تأثره بالعوامل . ولو جعلنا العمل فى ذلك للمتـكلم لا لهذه العوامل لم يكن هناك فرق فيه بين ما سموه معربا وما سموه مبنيا ، ولأمـكننا أن نجعل كلمات العربية كلها معربة ، واستغنينا بذلك عن حشو كثير فى الـكلام على الاعراب والبناء ، وفى تطبيقات الاعراب التى نجريها فى الأمثلة والشواهد ، وليس في هذا أى اعتداء على اللغة العربية ، فقد ذهب الفراء إلى القول باعراب الحروف إعرابا محليا ، ومعنى هذا أنها تتأثر عنده بالعوامل كما يتأثر غيرها ، وهذا مذهب غريب جداً فى الاعراب ، ولم أصل فيما ذهبت اليه من إعراب الحروف إلي أنها تتأثر فى ذلك بالعوامل كما يتأثر غيرها ، فهل تعدى الفراء بذلك على اللغة العربية ؟ وهل اتهمه أحد بهذه التهمة التى تـكال جزافا فى عصرنا ؟ اللهم لا

وكذلك مسألة الاعراب المحلى والتقديرى ، فانه لا يوجد هناك مايدعو إلى الفرق بينهما ، ولا ما يمنع من إدماج الاعراب المحلى في الاعراب التقديرى على النحو الذى ذكرته فى مقالاتى السابقة ، وقد ذهبوا إلي تقدير بعض الحركات من أجل حركة البناء في مثل « ياسيبويه » فلم أفعل إلا أن طردت ذلك فى هذا الباب كله ، وجعلت الاعراب المحلى إعرابا تقديريا ، لأن الفرق

بينهما من الحشو الذى لايصح وجوده فى هذا العلم ، بل لا يصح وجوده فى العلوم كلها

والحق أن كل ماذهبت إليه فى إصلاح الاعراب من القوة بحيث لايمكن معارضته ، ولولا تعنت هـذا العصر وجموده وجحوده لكان له شأن عندنا غير هذا الشأن ، ولوجد من إنصاف العلماء مايؤثره على مذهب القدماء فى الاعراب . وإنه لايهمنا هذا الجحود والجمود ، لأنا بما نكتب فى الاصلاح إنما نرضى به أنفسنا قبل كل شيء ونقوم بما نعتقده واجبا علينا ، ولا يجنى هذا الجمود والجحود إلا على الأمة التى نرضى به ، ولا نحاول التخلص منه بعد أن صار بها إلى ما صارت إليه

وها هى ذى آنستنا الفاضلة تشهد بقيمة هذا الاصلاح الذى أتينا به ، ولكنها تقع بعد هـذا فى سهو ظاهر تنقض بهما هـذه الشهادة ، والذنب فى ذلك عليهـا لا علينا ، لأن ملاحظته تناقضا فى كلامنا لا حقيقة له

فقد بنت هذا التناقض على أنا قلنا فى مقالنا الرابع إن الحرف لاحظ له من الاعراب أصلا ، ولو رجعت الآنسة الفاضلة إلى هذا المقال لوجدت أن هذا ليس من قولنا ، وإنمـا هو من قول الجمهور في الرد على الفراء ، إذ يذهب إلى إعراب الحروف إعرابا محليا ، ويتفق مذهبنا مع مذهبه فى ذلك إلى حد ما . ولسنا من الغفلة إلى حد أن نذهب في أول مقال لنا إلى إعراب الحروف إعرابا ظاهرا ، ثم نعود فنقول فى المقال الرابع إن الحروف لا حظ لها من الاعراب أصلا

وكذلك لم توفق آنستنا الفاضلة حين أنكرت علينا مخالفتنا فيما أتينا به من تطبيقاتنا الاعراب المعروف فى مذهب الجمهور ، لأنه لا حرج علينا فى ذلك أصلا ، ونحن لم نأت بهذه التطبيقات إلا لنبين للناس مقدار هـذه المخالفة ، وليس من المعقول أن نخالف الجمهور فى قواعد الاعراب ثم نجري تطبيقاتنا على مذهبهم لا على مذهبنا

فلا تناقض إذن فى كلامنا ولا شيء يمنع آنستنا الفاضلة من أن تجعل عبادتها لدراستنا خالصة مطلقة

(أزهرى)

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٨ — سائل

فى ميدان (الرجة) أكبر ميادين دمشق وأهمها ، وفى محطة (الترام) أظهر بقعة فى ذلك الميدان وأحفلها على ضيقها بالناس ، سائل طويل بائن الطول ، أعمى قبيح العمى ، يقوم حيال عمود الكهرباء وكأنما هو لطوله عمود ثان ، لا يريم مكانه ولا يتزحزح عنه ، ولا يفارقه لحظة من ليل أو نهار ، فهو أبداً يزحم الناس بمنكبه الضخم المريض ، وثوبه الدنس القذر ، ويؤذيهم بصوته الأجش الخشن ونغمته القبيحة المملة ، وكلماته التى لا تتبدل ولا تتغير : (من مال الله يا أهل الخير ، والله جوعان ! الله لايجوعكم والله كاس العمى صعب ...) لا يكف لسانه عن ترديدها ، كما أن لسان صبيه الذى يحمله دائماً لا يكف عن البكاء والعويل ..

وكنت أمر بالميدان نهاراً ، وآتيه نصف الليل ، وأجيء تارة عند طلوع الشمس ، فأجد ذلك السائل قائماً فى الحالات كلها بجانب العمود ، وكفه مبسوطة كأنها طبق ... ولسانه ولسان صبيه عاكفان على السؤال والبكاء ، كأنما هما اسطوانة تدور دائماً وأبداً لا كلل ولا ملال ... فكنت أتألم منه حيناً وأتقم من الشرطة أنها لا تباليه ولا تحفل مكانه ، وأشفق عليه حيناً فأعطيه من بعض ما أجد حتى رآنى رفيقى فلان ، فقال لى :

— ماذا ؟ أتعطى مثل هذا ؟

— قلت : ولم لا أعطيه وهو أعمى مسكين ، يسأل الليل والنهار لا يفتر ؟ فلو كان سؤاله تسبيحاً لكان من الملائكة ... ويقسم أبداً أنه جائع ، وولده على كتفه يبكى من الجوع ... أفأضن عليه بقرش واحد يقيم به صلبه ؟

فضحك رفيقى وقال :

— لا هو بالجائع ، ولا الولد ولده ، وإنه لأغنى منى ومنك ..

— قلت : هذا لا يكون

— قال : فتعال معى ...

ودنا من السائل ، فهمس فى أذنه .

— يا أبا فلان ؟ ألا تؤجرنا دارك التى فى (الشاغور) ؟